بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

حَفَلت شبه الجزيرة العربية قُبيل الإسلام، بالعديد من الاتجاهات الفكرية والدينية، فوُجدت بها الديانات النصرانية، والصابئة، واليهودية، والحنفية، والمجوسية، وعَبَدَة الأوثان[1]، مما أدى إلى اضطراب اجتماعى وخَلْط فى المفاهيم الدينية، فضلاً عمَّا كان هناك من قلق فى الأوضاع، وهكذا حتى جاءت رسالة الإسلام، لتعمل على تطبيق الأحكام الشرعية بدلا من الأعراف والعادات التى كانت سائدة بين القبائل بدون أدنى بصيرة أو منهاج. ودأب الرسول عليه السلام على توحيد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام بعد أن غدت المدينة المنورة عاصمة للدولة الإسلامية، ومنها خرجت الجيوش إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية، فضلاً عن قرارات تعيين الولاة، والقرارات السياسية والدينية والإدارية وغيرها[2].

(١) للمزيد من التفصيلات عن الديانات المتعددة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، انظر: جواد على: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠م) جـ٦، ص ٥ ومابعدها.

(٢) ظهور الدين الإسلامى فى الحجاز على يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم انتشاره فى جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، ثم فى بلاد الشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وفى بلاد فارس، والهند، والسند، وغيرها. لم يكن ليحدث بين عشية وضحاها، وإنما مر بمراحل صعبة منذ اجتماع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، حتى وصلت الفتوح الإسلامية إلى أقصى مداها فى عهدى الدولتين: الأموية والعباسية.
وللمزيد من الاطلاع على أحداث مراحل التاريخ الإسلامى المبكر، وامتداد الفتوح الإسلامية إلى أقصى الشرق والغرب. انظر: عبد الملك بن هشام. **السيرة النبوية**، حققه وشرحه، مصطفى السقا وآخرون (بيروت: دار القلم. د. ت) (٤ أجزاء) وأحمد بن يحيى البلاذرى: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ١٧ ومابعدها. ومحمد بن عبدالله الأزدى: **تاريخ فتوح الشام**، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر (القاهرة: مطابع سجل العرب، ١٩٧٠م). ومحمد عمر الواقدى: **فتوح الشام** (بيروت: دار الجيل، د. ت) جزءان. وعبدالوهاب النجار: **الخلفاء الراشدون** (بيروت: دار الفكر، د. ت)، ص ٣ ومابعدها.

ومما يسترعي النظر في تاريخ شبه الجزيرة العربية في فَجْر الإسلام، ذلك التباين في أهمية أجزائها وحواضرها وأقاليمها، وهو التباين الذي يبدو في تتبع مسيرة التاريخ في تلك الفترة، فمكة المكرمة، والمدينة المنورة نالتا حظاً وافراً من الاهتمام يفوق ماكان لغيرهما من الحواضر والأقاليم، ونظراً لمكانتهما الدينية المرموقة في المرحلة المرتبطة بمولد الإسلام، مما جعل ذكرهما يتردد باستمرار في كتب التراث الإسلامي. ويليهما في الأهمية حواضر اليمن، مثل صنعاء، وصعدة. وهكذا تتسلسل أهمية بقية الحواضر والأقاليم، كاليمامة، والبحرين، وغيرهما. ولعل ورود الكثير من الروايات عن هذه المدن يعود إلى استراتيجيتها ودورها في صنع الأحداث، فضلاً عَمَّا توافر لبعضها من قيادات سياسية وإدارية قادرة على أن تؤثر وتتأثر بالأحداث الجارية[1].

وقد اخترنا في هذا البحث أن نلقي بعض الضوء على جانب من الأقاليم التي لم تَحْظَ بقدر واضح من الأهمية في كتابات من تعرضوا لتاريخ شبه الجزيرة في فجر الإسلام، واخترنا المنطقة المعروفة باسم (تهامة والسراة) والتي تصل حواضر الحجاز الكبرى ـ الطائف، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة ـ بحواضر اليمن، صنعاء وصعدة وغيرهما.

وربما اقتصر اهتمامنا على المنطقة الممتدة من شمالي نجران وجازان جنوباً، إلى جنوبي مكة المكرمة والطائف شمالاً، وارتأينا أن يكون بحثنا محصوراً في فترة زمنية محدودة تمتد من بعث الإسلام إلى السنة الثانية عشرة للهجرة، آملين أن تكون هذه الدراسة اللبنة

---

(١) نلاحظ أن الكثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة مملوءة بالروايات المختلفة عن المدن الكبرى في شبه الجزيرة، كمكة، والمدينة، والطائف، وصنعاء، وصعدة، واليمامة، والبحرين، وغيرها، فتعرضت لثقلها السياسي، والاقتصادي، والفكري، والاجتماعي، والديني، وبخاصة في مكه المكرمة والمدينة المنورة، بل إن الكثير من المصادر أشار إلى العديد من الشخصيات التي برزت في تلك الحواضر، خلال القرون الإسلامية المبكرة، والتي كان لها دور بارز في بعض مجالات الحياة السياسية والحضارية المختلفة.
وللمزيد من التوضيحات، انظر: محمد بن عبدالله الأزرقي: **أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس، ط٤ (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) جزءان. وعمر بن شبه: **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمود شلتوت (جدة: دار الأصفهاني للطباعة والنشر، ١٣٩٣ هـ) (٤ أجزاء) وعمر علي الجعدي: **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق فؤاد سيد (بيروت: دار القلم، د. ت) ص ٢٥ ومابعدها. وحمد الجاسر: **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضيع** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د. ت) ص ٧ ومابعدها. وأكرم ضياء العمري: **المجامع المدني في عهد النبوة** (المدينة المنورة: د. ت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، ص ١٧ ومابعدها.

الأولى، التى تشد من أزرِ الباحثين وتحفزهم إلى الكشف عن تاريخ هذه المنطقة وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة التى لم تنل حظاً كافياً من العناية فى مجال البحث التاريخى.

ونبدأ بتسجيل ملاحظة إيضاحية، وهى أن المصادر المعاصرة أطلقت على البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة مسميات عديدة، مثل: بلاد جنوبى الطائف، ومكة، أو (بلاد اليمن)، أو (تهامة والسراة)، بدون تحديد الفواصل بين تلك الأقاليم بعضها وبعض. وقد ركزت بعض المصادر على حواضر ومراكز حضارية معينة، مثل: نجران، وجريش، وبيشة، والطائف، بدون تحديد منهجى لدراستها، وبذلك غدت من البلاد المحظوظة نوعاً ما، لتردد ذكرها فى بعض كتب التراث الإسلامى، برغم شحها قياساً بغيرها[1].

نبذة عن الوضع الجغرافى والبشرى:

المقصود ببلاد تهامة والسراة، الوارد ذكرها فى هذا البحث، تلك المنطقة الممتدة من قرب الطائف ومكة المكرمة شمالا، إلى جازان ونجران جنوباً. وهذه المنطقة لاتشمل كل بلاد تهامة والسراة المشار إليها فى كتب التراث، والتى قد تمتد شمالا إلى المدينة المنورة أو بلاد الشام، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى. وبين هذا وذاك، سنركز نحن فى هذا البحث على واسطة العقد، أى قلب ذلك الإقليم ووسطه، فنقول: سراة الشئ فى

(١) هناك العديد من المصادر المبكرة التى تعرضت لبلاد تهامة والسراة من حيث المسميات، أو من نواحى جغرافية وحضارية أخرى.
وللمزيد من الشروحات انظر: عبيد الله بن خرداذبه: **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق، ام. جى. دى غوى (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م) ص ١٣٣ ـ ١٤٤. وعبدالله بن عبدالعزيز البكرى: **معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، مج١، ج١، ص ٥ ـ ٨٠. وشهاب الدين ياقوت الحموى: **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، ج٣، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥. ومحمد بن أحمد بن جبير: **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار الكتب، د. ت) ص ١٠٢ ـ ١٠٦. وشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل العُمرى: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق، أيمن فؤاد سيد (القاهرة: المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، د. ت) ص ١٤٩ ـ ١٧٠؛ وحسن إبراهيم الفقيه: **مدينة السرين الأثرية** (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٩ ومابعدها. وأحمد بن عمر الزيلعى: «**المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي** (ق ٣ ـ ٩ هـ / ٩ ـ ١٦ م)». **حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت**، الحولية رقم (٧) الرسالة (٣٩) (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ١١ ـ ٦٥؛ ومحمد أحمد معبر: **مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة** (خميس مشيط: دار جرش للنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ١٣ ـ ٥٠.

اللغة: أعلاه، وظهره، ووسطه. ويُذكر عن بلاد السراة أنها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عَرفة، والتى تمتد إلى حواضر اليمن[١].

ويشير بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يُطلق عليها جبال السروات، وربما أُطلق عليها الحجاز، لأنها تحجز بين تهامة فى الغرب ونجد فى الشرق[٢]. ويبدو أن حدود جبال السروات أو الحجاز صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين المسلمين. والذى يهمنا فى هذا الصدد أن بلاد السراة المعنية هنا، عُرفت باسم السروات، ومفردها سراة، وبهذه المنطقة سروات كثيرة ـ أى قمم ـ من أشهرها سراة الطائف، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان، ثم سراة بنى سعد بلحارث، ثم سراة بنى مالك بجيلة، فسراة غامد وزهران، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن، فسراة الحجر، يليها سراة عسير التى كان يطلق عليها قديماً (سراة عنز)، ثم سراة قحطان، وتعرف قديماً (بسراة جنب)[٣]، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران. انظر الخريطة رقم (١). وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ، وبالتالى كانت ومازالت تنسب كل سراة إلى القبيلة أو العشيرة التى تقطنها، وإنْ كان معظم سكان تلك السروات يسكنون فى المرتفعات أو السروات التى تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية، غير أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن مواطنها فى السروات[٤]، وتنزل الأغوار التهامية فى الغرب، أو الأجزاء النجدية فى الشرق.

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن بلاد تهامة والسراة، من حيث حدودها، وخطوط الطول والعرض بها، وبعض ماقيل عن دورها الحضارى فى بعض كتب التراث الإسلامية المبكرة، انظر: الحسن بن أحمد الهمدانى: **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٥٨ ـ ٥٩، ٩٨ ـ ١٠٠، وياقوت: **معجم البلدان**، جـ٣، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥. ومحمد بن محمد بن عبدالله الإدريسى: **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) جـ١، ص ١٣٦ ـ ١٥٦. وحمد الجاسر: **فى سراة غامد وزهران** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م) ص ٣٥٣ ـ ٣٦٦.

(٢) انظر تفصيلات أكثر من مقالتى. عبدالله الوهيبى: «**الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب**» **مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض** (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) جـ١، ص ٥٣ ـ ٧٠. وصالح أحمد العلى: «**تحديد الحجاز عند المتقدمين**» مجلة العرب (١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م) جـ١ ص ١ ـ ٩.

(٣) ولا تزال أغلب هذه السروات المذكورة تُستوطن بالقبائل والعشائر التى سُميت بها كل سراة. ويستنتج من ذلك أن الأرض كانت ومازالت تنسب إلى من يسكنها، فمثلا: سراة قحطان، أو عسير، أو الحجر، عُرفت بهذه الأسماء، لأن قبائل قحطان، أو عسير، أو الحجر استوطنت سرواتها منذ أمد بعيد، فعرفت الأرض باسم القبيلة ونُسبت إليها، وهكذا حدث مع بقية السروات الأخرى.

(٤) التنقل والترحال من عادات العرب القديمة، بل انتقال الفخذ أو العشيرة من مكان إلى مكان كان من الأوضاع المألوفة عند البدوى منذ عهود قديمة، إلى جانب وجود أسباب أخرى تجعل بعض العشائر =

وبلاد السراة كثيرة الهضاب والوهاد، وتتفاوت فى الارتفاع، فقد يصل ارتفاع بعض الجبال فى سراة عسير إلى أكثر من ثلاثة آلاف قدم، ثم تقل إذا ما اتجهنا صوب الشمال وتتخذ شكل المدرجات، وتميل بشدة نحو البحر فى اتجاه الغرب، فى حين تنحدر تدريجياً نحو الهضاب الداخلية فى اتجاه الشرق. وتعد مرتفعات السراة بمثابة موزع للمياه بين تهامة فى الغرب والهضاب النجدية فى الشرق، ومن أهم الأودية المنحدرة تجاه الشرق أودية الطائف، مثل: وادى وج، ووادى لبّه، ووادى السر، ووادى كلاخ. يليها إلى الجنوب وادى تربة، وهو من الأودية الكبيرة التى تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقى، ويتجه نحو الشرق حتى يلتقى بوادى بيشة. ولوادى تربة العديد من الروافد، منها: وادى العقيق الذى يسيل من سراة زهران، ووادى بواء، الآتى من سراة بجيلة ويمر فى بلاد بلحارث حتى سراة غامد وزهران، ثم وادى رَبْية، بفتح الراء وسكون النون، وكثيراً مايطلق عليه الآن اسم وادى سبيع، لأن كثيراً من بطون سبيع تقيم فى هذا الوادى وبين جنباته، وهو يسيل من سراة غامد، وجنوباً يأتى وادى بيشة الذى يعد من أكبر أودية السراة المنحدرة نحو الشرق، ويمكن أن يُطلق على هذا الوادى وادى خَثْعَم[1]، لأن جميع البطون القاطنة فيه وعلى معظم روافده من خثعم. ومن روافد هذا الوادى وادى تبالة الذى يسيل من سراة خثعم وبلقرن وشمران، وهرجاب من سراة الحجر وغيرها[2]. ثم وادى تثليث[3] إلى الجنوب من وادى قحطان، وإذا كنا قد أطلقنا

= ترحل من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى، كأن تهاجم قبيلة قوية أخرى ضعيفة فتجبرها على الرحيل، أو ترحل بعض العشائر ـ وبخاصة البدوية منها ـ من مكان لآخر بحثاً عن الماء والعُشب الذى يفيدها فى رعى مواشيها، أو حدوث نوع من الخصومة والشقاق بين أفراد العشيرة الواحدة، مما يؤدى إلى خروج بعضهم من مواطن العشيرة الأساسية، والبحث عن مكان آخر يعيشون به. ومانلاحظه فى بلاد تهامة والسراة من تشابه فى بعض أسماء القرى والأفخاذ المتفرقة، أو من توزع بعض أفراد القبيلة أو الفخذ الواحد فى أكثر من مكان، سواء كان بالأجزاء السروية المرتفعة، أو بالهضاب والأودية الشرقية، أو ببعض الأجزاء الساحلية التهامية، ناتج من حدوث بعض الأسباب الآنفة الذكر، والتى عاشتها ومارسها سكان تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة.

(١) لقد لاحظنا ورود أسماء بعض الأودية دون ذكر أسماء العشائر والقبائل التى أقامت حولها، مثلما حصل مع قبائل سبيع وخثعم فى وادىِ رِنْية وبيشة، وفى اعتقادنا أن السبب فى ذلك يعود إلى أن بعض القبائل التى سكنت حول الأودية ولَمْ تسم باسمها، هى قبائل غلب عليها طابع الترحال وعدم الاستقرار، فلم تكن تمكث طويلا وتلتصق بالأرض مثلما حدث مع قبائل خثعم وسبيع على وادىِ بيشة ورنية.

(٢) يقصد ببلاد الحجر المنطقة الواقعة بين سراة عسير جنوباً، وبلقرن وخثعم وشمران شمالا، ويستوطنها فى وقتنا الحالى، قَبائل بلحمر جنوبا يليها نحو الشمال قبائل بلسمر، ثم قبائل بنى شهر وبنى عمرو.
وللمزيد من التفصيل. انظر: غيثان على جريس: **بلاد بنى شهر وبنى عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها: مطابع مازن، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٩ ـ ١٤.

(٣) تثليث هى ديار عمرو بن معدى كرب الزبيدى، الذى سيرد ذكره معنا، عند الحديث عن الوفود التى قدمت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد فتح مكة المكرمة. ومن المعلوم أن السواد الأعظم =

على وادى بيشة، وادى خثعم، وعلى وادى رَنْية، وادى سبيع، فيمكننا أن نطلق على وادى تثليث، اسم وادى فحطان، حيث تنتشر بعض فروع قبائل قحطان على أغلب أجزاء وادى تثليث، بالإضافة إلى أن بداية مسايل هذا الوادى من أعالى سراة قحطان[1]،

خريطة رقم (١)

السروات الواقعة بين الطائف ونجران

= من سكان الجزيرة العربية كانوا يدينون بالوثنية أو ماشابهها من الديانات الساذجة الذالة على سخف فى التفكير، وضعف فى المعتقد، وبعد ظهور الإسلام، وانتشاره فى بلاد تهامة والسراة، ظهر عندئذ شخصيات، أمثال عمرو بن معدى كرب وغيره، تُعد بوادر الخير الذى ظهر بظهورها، فحملوا راية الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وجعلها العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

(١) من أكبر عشائر قبيلة قحطان فى وقتنا الحاضر ـ وبخاصة فى الأجزاء السروية: وادعة، وسنحان، وبنو بشر، وعبيدة، ورفيدة، والجارمة، وخطاب.

ومن أكبر روافده وادى العرين الذى يستمد مياهه من سراة عبيدة عند المنطقة المسماة بـ (الفيض) حول ظهران الجنوب.

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب، وادى نعمان، الذى يسيل من غرب سراة الطائف، ثم يمر بالقرب من عرفة جنوباً، وهناك يجتمع بوادى عرنة الآتى من الشمال، فيسمى الواديان وادى عرنة، حتى يصب فى البحر جنوبى جدة، ثم وادى ملكان، الذى يبارى الوادى السابق من الجنوب حتى يصب فى البحر عند الشعيبة[1]. ووادیا إدام ويلملم، ويقعان إلى الجنوب من وادى ملكان. ثم يأتى وادى الليث نحو الجنوب، وهو أكبر ماتقدم من الأودية، وتأتى مياهه من أعالى سروات بلحارث وبجيلة بنى مالك، منحدراً نحو الغرب حتى البحر. وهناك أودية أخرى تأخذ مياهها من سروات غامد، وزهران، وخثعم، وشمران، وبلقرن. مثل: وادى الشواق، ثم دوقة، وقرماء، وناوان، والأحسبة، وجميعها تصب على مقربة من القنفذة. ووادى قنونا الذى يصب من غرب سراة بلاد الحجر حتى البحر عند القنفذة، ثم وادى حلى الذى يُعَدُّ أعظم الأودية التى سبق ذكرها، وله رافدان عظيمان هما: واديا بقرة والحمض اللذان يأتيان من سراة الحجر، ثم وادى عتود الذى يسيل من سراة عسيرة[2]، حتى يصب فى البحر عند بلدة الشقيق، ثم يليه إلى الجنوب وادى بيض، ثم وادى بيش الذى تأتى مياههما من سراة قحطان، وأخيراً واديا صبيا ثم جازان[3].

---

(١) الشعيبة كانت ميناء مكة المكرمة الرئيسى منذ العصر الجاهلى وحتى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٣ هـ / ٦٤٤ م ـ ٣٥ هـ / ٦٥٦ م)، ثم استبدلت جدة به فصارت الميناء الرئيسى لبلاد الحجاز حتى وقتنا الحالى.
وللمزيد من التفصيل. انظر: حمد الجاسر: **فى شمال غرب الجزيرة، نصوص، مشاهدات، انطباعات** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ص ١٦٧ ومابعدها، وللجاسر أيضاً: **«حول البحار والشعيبة» مجلة العرب** (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) جـ١٢، ص ١١٧٠ ـ ١١٧٢.

G. R. Hawting. **"The Origin of Jeddah and the Problem of al-Shuayba"** Arabic Vol. XXXI (1984). pp. 318 - 326.

(٢) إن الذى قصدنا به هنا من سراة عسير، هى منطقة مدينة أبها وماحولها، أو بوجه أدق مواطن قبائل عسير الأصلية، والتى هى: قبائل معيد، وعلكم، وبنو مالك، وربيعة ورفيدة، وجميعها تقطن الأجزاء السروية الواقعة بين سراة الحجز من الشمال وسراتى قحطان وشهران من الجنوب، كما يوجد لهذه القبائل بعض العشائر فى أسفل عقبة ضلع المنحدرة من جبال أبها تجاه منطقة جازان، وكذلك قبائل رجال ألمع الواقعة فى بعض مرتفعات الأجزاء التهامية من سراة قبائل عسير.

(٣) وللمزيد من التفصيل عن أهم الأودية الواقعة بين جازان ونجران جنوباً، وبين مكة المكرمة والطائف شمالا، انظر: عبدالرحمن صادق الشريف. **جغرافية المملكة العربية السعودية، إقليم جنوب =**

تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المكية

بُعِثَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى مكة المكرمة يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان، فتصدت له قبيلة قريش، وحاربوه، ووصفوه بأسوء الصفات، ثم سَعَوْا إلى تحريض باقى القبائل فى شبه الجزيرة عليه وعلى ماجاء به، وشجعوهم على المضى فى عبادة الأصنام فى كل مكان، ولكن بنصر الله وتوفيقه انتصرت رسالة الإسلام، وتزايدت أعداد المسلمين حول الرسول، حتى صارت شبه الجزيرة العربية تدين بكلمة التوحيد(١).

ولم يكن سكان تهامة والسراة فى بداية الدعوة بمعزل عن سير الأحداث فى مكة المكرمة، وإنما كانوا على صلة سياسية وحضارية بأهل مكة والطائف ومَنْ جاورهم(٢). والسؤال الذى يواجهنا فى هذا الصدد هو: ماذا كان موقف التهاميين والسرويين أثناء المرحلة المكية؟ الواقع أن موقفهم كان سلبيا من الدعوة الإسلامية، لأن قبيلة قريش فى نظرهم كانت المَثَلَ الذى يُقْتَدَى به، ولذا انساقوا وراء قريش فى عدائها للرسول (ص) فى

= **غرب المملكة** (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) جـ٢، ص ٣٣ ومابعدها وعاتق بن غيث البلادى: **بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات)** (مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ص ١٣ ومابعدها. وللمؤلف نفسه: **بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات)** (مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ص ٩ ومابعدها.

(١) القرآن الكريم، وكتب السنة، وكذلك جميع كتب السيرة والطبقات والتراجم، والكثير من كتب التراث الإسلامى الأخرى ذاخرة بتاريخ سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سواء يوم كان فى مكة المكرمة، أو بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وتأسيس أول عاصمة إسلامية هناك، ثم محاربته للمشركين واليهود والمنافقين، وتبليغه رسالة الإسلام إلى الناس كافة.

(٢) كان أهل تهامة والسراة على علاقات (تجارية، واجتماعية، وسياسية) مع الحجازيين. فالقرآن الكريم (فى سورة الإيلاف) وكثير من كتب التراث الإسلامى تشير إلى الرحلة الشتوية التجارية التى كان يقوم بها أهل مكة المكرمة، عبر بلاد تهامة والسراة، حتى حواضر اليمن الكبرى. ورحلة تجارية متكررة كل عام لابد أن يحدث الاحتكاك الحضارى بين روادها - الذين هم من قريش - وبين أهل الديار التى يمرون عليها من بلاد تهامة والسراة. والأخذ والعطاء لايكون مقصوراً على الأعمال التجارية فحسب، وإنما يمتد إلى أمور أخرى عدة، كالتعاون فى توفير الأمن للتجار أثناء عبورهم الطرق التجارية، أو ورودهم بعض الأسواق أو المراكز الحضارية الكبرى للبيع والشراء. ومن المتوقع أن تمتد العلاقات إلى الزواج والمصاهرة، واقتباس بعض العادات الاجتماعية المتعلقة بحفلات الزواج والختان، أو عادات الزينة واللباس، أو الطعام والشراب، أو بناء الدور وماشابهها. ومن يتجول الآن فى بلاد الحجاز، أو بلاد تهامة والسراة المعنية فى هذا البحث، أو بعض أرياف ومدن اليمن، يجد هناك الكثير من التشابه فى نمط الألبسة، وطريقة عمل بعض الأطعمة، أو بناء ونقش وزخرفة المنازل. ومثل هذا التشابه لايمكن حدوثه من فراغ، وإنما ورثه الأبناء والآباء عن الأجداد، كما أنه نتيجة للاختلاط والانصهار البشرى الذى مرت به هذه الديار منذ أزمنة بعيدة.

مكة المكرمة. ولم نستطع العثور على دليل يشير إلى أن السرويين والتهاميين وقفوا موقفاً إيجابياً من الرسول (ص) ودعوته في المرحلة المكية، اللَّهُمَّ إلا بعض حالات فردية تمثلت في بعض الشخصيات السروية التي تجاوزت الطوق الذي ضربته قريش حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن آمن معه في مكة المكرمة[١]. ومن تلك الشخصيات الطفيل بن عمرو الدَّوْسِيُّ الزهراني، الذي كان زعيماً لقبيلة دَوْس، بسراة غامد وزهران. ويُذكر عنه أنه كان رجلاً شريفاً شاعراً يرتاد مكة المكرمة من وقت لآخر، وكان أجداده على علاقة مصاهرة مع أبي سفيان بن حرب وزعماء آخرين من قريش[٢]. وفي إحدى المرات ـ أثناء السنة الحادية عشرة من النبوة ـ جاء إلى مكة فاستقبله أبو سفيان وبعض طُغاة قريش، فحذروه من مقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو السماع له. ولكنه لم يصغ لدعوتهم وقال: «إني رجل لبيب شاعر، مايخفَى عليَّ الحسن والقبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل، ومايقول؟ فإن كان حسناً قَبِلْتُهُ، وإن كان قبيحاً تركته». ثم ذهب لمقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسمعه يتلو القرآن، فأعجبه ماسمع، وقال: «ماسمعتُ قط قولاً أحسن منه، ولا أمْراً أعدل منه» ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وقال للرسول (صلى الله عليه وسلم): «إنِّي مُطاعٌ في قومي، وراجعٌ إليهم، وداعيهم إلى الإسلام» فوافقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودَعَا له[٣].

---

(١) لم يترك القرشيون وسيلة إلا جربوها من أجل صَدِّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) عمَّا كان يدعو إليه، فوصفوه تارة بالجنون، وأخرى بالكهانة أو السحر، بل ضيقوا عليه في جميع جوانب حياته الاجتماعية، وتطاول بهم الأمر إلى إيذائه والاستهزاء به والسخرية منه. أما المسلمون الأوائل الذين صدقوا برسالة الإسلام فقد نالهم من الإيذاء ما الله به عليم، بل فقد بعضهم حياته من أجل اعتناقه الإسلام، وذلك كله على أيدي طغاة قريش، من أجل القضاء على دين الله، والله مُتم نوره ولو كره الكافرون.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن علاقة الأحلاف والمصاهرة التي كانت بين آباء وأجداد الطفيل الدَّوْسيين وبين بعض زعماء قريش، أمثال أبي سفيان وغيره. انظر: محمد بن حبيب البغدادي: **كتاب المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ١٩٩ ـ ٢١١، الجاسر، **في سراة غامد وزهران**، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٩.

(٣) للوقوف على تفصيلات قصة إسلام الطفيل، ومادار بينه وبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أول لقاء، ثم عودته إلى قومه في سراة غامد وزهران، ومابذل من جهد من أجل محاربة الوثنية بينهم ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام، انظر: ابن هشام: السيرة، جـ٢ ص ٢١ ـ ٢٥، وجمال الدين بن الجوزي: **صفة الصفوة** تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩) جـ١، ص ٦٠٠ ـ ٦٠٤. وعز الدين علي بن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت) جـ٣، ص ٥٤ ـ ٥٥.

وهناك فرد آخر يُدعى ضماد الأَزْدِيَّ، مِنْ أزد شنوءة، بسراة عسير، جاء إلى مكة المكرمة، وكان يُعالِجُ من مرض الجن، فاستقبله طغاة قريش، وحذروه من مقابلة الرسول[1] (صلى الله عليه وسلم)، ووصفوه بأنه ساحر مجنون، فلم يسمع ضماد لما قالوا، وقال: «لو أني أتيتُ هذا الرجل لعَلَّ الله يشفيه على يدى» ثم لقيه فقال له: «يامحمد إنى أرقى من هذا الريح فهل لك؟». فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». فقال ضماد: «أعِدْ عَلَيَّ كلماتك هؤلاء». فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات، فقال: «لقد سمعتُ قولَ الكهنة، وقول السَّحَرَة، وقول الشعراء، فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاء، هاتِ يَدَكَ أُبايعك على الإسلام». فبايعه[2].

وإذا كان الطفيل وضماد من بوادر نسمات الخير التى أتت من بلاد تهامة والسراة، فإن السواد الأعظم من سكان تلك البلاد بقوا على وثنيتهم، حتى بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة، وأيضاً بعد حدوث المعارك الكبرى فى الإسلام كبدر، وأُحُد، والأحزاب، ثم فتح مكة المكرمة فى السنة الثامنة للهجرة.

تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المدنية

بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، ثم تَحَوُّل المسلمين من دُعاة إلى جُند يقاتلون الشرك وأعوانه، ظل السرويون والتهاميون يرقبون تطورات الوضع عند القرشيين، ويهوون هواهم، ويتعاطفون معهم، بحكم الجوار والموقع مابين مكة والطائف وبين أهل تلك البلاد الذين يجاورونهم جنوباً. ونظراً للأهمية التى تتمتع بها أسواق مكة والطائف من حيث تسويق السلع وترويجها،

(١) لم تكن سياسة قريش فى محاربة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وماجاء به من دعوة، مقصورة على تحذير الناس من مقابلة الرسول بشكل فردى، كما فعلوا مع الطفيل وضماد، وإنما كان منهجهم إلقاء الخطب على رُءُوس القبائل فى الأسواق، وعلى أبواب السكك الداخلة إلى مكة، وكذلك أيام الحج، وفى أماكن أخرى عديدة، يحرصون على التشكيك فيما جاء به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ويَدَّعُونَ أنه ضَرْبٌ من الأساطير والخرافات.

(٢) للمزيد من التوضيحات عن إسلام ضماد الأزدى، انظر: ابن الجوزى: **صفة الصفوة**، جـ١ ص ٦٠٤ ـ ٦٠٥، وصفى الرحمن المباركفورى: **الرحيق المختوم** (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ١٣٣.

وتوفير مايحتاج الناس لشرائه من الحاجات. ونظراً لمعتقداتهم الوثنية التى تتفق مع ماكان عليه المشركون فى مكة وماحولها، كل هذا يجعلنا ندرك ماكان هناك من تجاوب بين أهل مكة والطائف وبين أهل تهامة والسراة المنتشرين من حواضر الحجاز إلى مدن اليمن الكبرى. ولاتذكر المصادر دوراً إيجابياً ملموساً لأهل تهامة والسراة، وبخاصة قبل فتح مكة المكرمة فى السنة الثامنة للهجرة، وإنما أشارت إلى بعض السرايا التى أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بعض مواقع الجنوب من مكة والطائف. فذكر الواقدى والمسعودى أن الرسول أرسل سرية إلى تُرَبَة، جنوبى الطائف[١]، بقيادة عمر ابن الخطاب فى شهر شعبان فى السنة السابعة للهجرة، وكان معه من صحابة الرسول ثلاثون رجلاً، فذهبوا إلى بلاد تُرَبَة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها، فعادوا إلى المدينة[٢]. ولم تذكر الروايات الطريق التى سلكها عمر بن الخطاب للوصول إلى تربة جنوبى الطائف، حيث كانت أغلب البلاد جنوبى المدينة حتى تربة مأهولة بالمشركين المعادين للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولكن ليس ببعيد أنه كان هناك طُرقٌ مطروقة بين بلاد تهامة والسراة من جهة، والمدينة المنورة من جهة أخرى، لأن المصادر تذكر قدوم أول طلائع المسلمين من بلاد السراة فى شكل جماعات، وذلك بعد رجوع الطفيل بين عمرو الدوسى إلى قومه، فبقى يدعوهم إلى الإسلام حتى السنة السابعة للهجرة. وفى تلك السنة خرج من سراة غامد وزهران ومعه ثمانون بيتاً من دَوْس فقدموا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعلنوا إسلامهم[٣]. وخروج مثل هذه الأعداد الكبيرة من بلاد

---

(١) تربة ـ بالضم ثم الفتح ـ تقع إلى الجنوب من مدينة الطائف، بحوالى مائة كيلو متر، وبها واد يسمى «وادى تربة»، وتنحدر مياهه من أعالى بلاد السراة نحو الأجزاء الشرقية، ويسكن على ضفافه العديد من الأفخاذ والعشائر التى تمتهن الزراعة ومزاولة بعض الأعمال التجارية الأخرى. انظر: شهاب الدين ياقوت الحموى: **معجم البلدان** (بيروت: دار صادر، ٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) جـ٢، ص ٢١، وعاتق بن غيث البلادى: **بين مكة وحضرموت، رحلات ومشاهدات** (مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ١١. ومشاهدات الباحث ورحلاته الميدانية خلال عام ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ـ ١٩٩٣ م.

(٢) انظر: محمد بن عمر الواقدى. **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس (بيروت: عالم الكتب. د. ت) جـ٢، ص ٧٢٢، وعلى بن الحسين المسعودى: **التنبيه والإشراف** (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨١ م) ص ٢٤٣. انظر أيضاً: خليفة بن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمرى (الرياض: طبعة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧٨.

(٣) يُذكَر أن الطفيل قَدِمَ مع قومه إلى المدينة، فوجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ذهب إلى خيبر لفتحها، فلحق به هناك. وللمزيد من التفصيل انظر: الواقدى: **المغازي**، جـ٢، ص، ٦٨٣، وابن هشام: **السيرة**، جـ٢، ص ٢١ ـ ٢٥. وشمس الدين محمد بن القيم: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) جـ٣، ص ٦٢٤ ـ ٦٢٨.

السراة مروراً ببلاد الطائف ومكة المكرمة قبل فتحها، يعد دليلاً على وجود طُرق تربط بين تهامة والسراة وبين المدينة المنورة. ثم إن أهل الطائف ومكة، وبخاصة منذ السنة السابعة للهجرة[١]، ربما غَدَوْا عاجزين عن قطع الطريق الواصل بين بلاد اليمن والسراة وبين عاصمة الإسلام فى المدينة. هذا بالإضافة إلى أن قوة المسلمين أصبحت مرهوبة الجانب، ليس فى المدينة وماحولها فحسب، وإنما فى معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وبدخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) الطائف فى السنة الثامنة للهجرة علت كلمة الإسلام، الأمر الذى أدى إلى انهيار الشرك فى بلاد تهامة والسراة وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية. وبعد معركة حنين وحصار الطائف. قَدِمَ وفدٌ من ثَقِيف على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة المنورة بعد فتح مكة المكرمة، وتبعته وفود أخرى من حواضر تهامة والسراة وبلاد اليمن[٢]، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو: هل دخل سكان السراة وتهامة فى الإسلام زرافات أم وحدانا؟ وهل قام مَنْ دَخَل فى الإسلام من أهل السراة من نشر الإسلام بينهم؟ وهل بقى البعض منهم على وثنيته تأخذه العزة بالإثم؟

الواقع أن أهل تهامة والسراة لم يدخلوا فى الإسلام بشكل جماعى، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من القبائل التى دخلت الإسلام بعد فتح مكة المكرمة. ويمكننا القول: إن دخولهم فى الإسلام كان مابين السنتين السابعة والعاشرة للهجرة، فبعد فتح مكة المكرمة، ثم بعد معركة حُدين ومحاصرة أهل الطائف، نجد بعض التهاميين والسرويين كانوا من أوائل من دخل فى الإسلام، الأمر الذى أدى إلى استعانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهم وبغيرهم من الداخلين فى الإسلام على محاربة من بقى على عقائد الوثنية. وتذكر بعض المصادر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أرسل الطفيل بن عمرو

(١) منَ استقراء تاريخ السيرة النبوية نجد أن المشركين كانوا يتراجعون إلى الوراء منذ ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة، ولكن سقوط حظهم لم يصبح واضحاً للعيان إلا بعد معركة بدر، ثم تتالت عليهم أحداث الفشل والخيبة حتى السنة السادسة للهجرة، وذلك عندما عقدوا ماسُمى بـ (صلح الحديبية) مع الرسول وصحابته، ومن بعد ذلك التاريخ لم يعمروا طويلا، فقد جاءت السنة الثامنة للهجرة فدخل المسلمون مكة المكرمة، وقضى على المشركين فى عقر دارهم.

(٢) من الوفود التى وفدت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بلاد تهامة والسراة: وفد الأزد، ووفد بجيلة، ووفد بارق، ووفد خثعم، ووفد ثمالة، ووفد غامد، ووفد دوس، وغيرها كثير.
للمزيد من التفصيلات، انظر: محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) جـ١، ص ٣٢١ ـ ٣٥٩.

الدوسي مع بعض رجاله ـ بعد معركة حنين في السنة الثامنة من الهجرة ـ لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد ودَوْس، وأوصاهم بهدم صنم عمر بن حممةَ الدوسي، الذي يعرف بذي الكفين، فلم يكن على الطفيل إلاَّ أن يطيع أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويطلب من الرسول الوصية، فقال (صلى الله عليه وسلم) للطفيل: «أَفْشِ السلام، وابذل الطعامَ، واستَحِ من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله[1]، إذا أسأت فأحسن، إن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات ذلك ذكرى للذاكرين». ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دَوْس وماحولها، ثم هدم صنم ذي الكفين، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول:

ياذا الكفين لستُ من عبادك ميلادنا أقْدَمُ من ميلادك

أنا حَشَوْتُ النار في فؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل ومن معه من قومه، وكان عددهم أربعمائة رجل، فقابلوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالطائف[2].

ويذكر ابن الجوزي أن جرير بن عبدالله البجلي قدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ببعض قومه بعد فتح مكة المكرمة، فأسلموا وحسن إسلامهم، ثم رأَسَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) جريراً على صحبه، وطلب منهم هَدْم صنم ذي الخُلَصَة في بلاد

(١) أي ذو الصورة والشكل الحَسَن، أو ذو الوقار. وتقول هشت للأمر أهى، هيئة، وتهيأت تهيوا، والهيئة: الشارة، فيقال: فلان حَسَنَ الهيئة. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، فعل «هيأ» جـ١٥، ص ١٧٠ (طبعة بيروت).

(٢) للمزيد من التفصيل عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس، انظر: الواقدي: **المغازي**، جـ٣، ص ٩٢٣، وابن الجوزي: **صفة**، جـ١، ص ٦٠٣. والجاسر: **في سراة غامد**، ص ٣٢٤. والمسعودي: **التنبيه**، ص ٢٤٩. وابن سعد: **الطبقات**، جـ٢، ص ١٥٧. وابن هشام: **السيرة**، جـ٢، ص ٢١ ـ ٢٥. ويذكر أن الطفيل عاد من بلاد دوس مع قومه ومعه دبابة ومنجنيق، فقال لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم): «يامعشر الأزد من يحمل رايتكم؟ فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلي، فقال: أصبتم» وقيل أن الذي كان يحمل الراية في الجاهلية هو: النعمان بن الزرافة اللهبي، وهذا ماذكر الواقدي، أما ابن سعد فذكر أن (النعمان بن بازية اللهبي)، وذكر ابن عبدالبر في كتاب الاستيعاب، بأنه (النعمان بن الزراع عريف الأزد). انظر الواقدي. **المغازي**، جـ٣، ص ٩٢٣، انظر أيضا ملاحظة (٤) في نفس الصفحة المذكورة آنفا، ابن سعد، **الطبقات**، جـ٢، ص ١٥٧ ـ ١٥٨، محمد بن اسماعيل البخاري. **صحيح البخاري** (بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت) مج٣، جـ٥، ص ١٢٣.

خثعم، فلبى ما أمَر به الرسولُ (صلى الله عليه وسلم)[١]. ويشير ابن سعد فى رواية أخرى عن جرير بن عبدالله بأنه قَدِمَ على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى السنة العاشرة ومعه مائة وخمسون رجلاً من بجيلة، فرحب به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن معه، ثم قال له: «بايعنى على أن تشهد أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله، وتقيم اصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتنصح المسلمين، وتطيع الوالى، وإنْ كان عبداً حبشياً». فقال جرير: (نعم): فبايعه الرسول (صلى الله عليه وسلم). ثم سأله الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أحوال ماوراءه فى بلاد السراة، فقال: «يارسول الله، قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان فى مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامها التى كانت تعبد[٢]. قال: «ـ فما فعل ذو الخلصة؟». قال: «هو على حاله، قد بقى، واللّهُ مُريحٌ منه إن شاء الله»[٣]. فبعثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى هدمه، وعقد له لواء ومعه مائتان من قومه، فذهب جرير ومن معه فهدموه، ثم رجعوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: «يارسول الله، والذى بعثك بالحق لقد هدمته، وأخذتُ ماعليه، وأحرقته بالنار، وتركته كما يسوء مَنْ يهوى هواه، وماصَدَّنَا عنه أحد». فَسُرَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبَرَّكَ على جرير وقومه[٤].

ولم يَكُفَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن إرسال قادة من أهل السراة لمحاربة من بقى على الوثنية منهم، بل غَيَّرَ وبدَّل، فأرسل قادة من صحابته ليحاربوا المشركين فى

(١) انظر ابن الجوزى: **صفة الصفوة**، جـ١، ص ٧٤١. وصنم ذى الخلصة كان لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن كان ببلاد السراة، بل كان يعرف بالكعبة اليمانية، وكان يحج إليه أعداد كثيرة من الناس.
وللمزيد من التوضيحات، انظر: ابن هشام: **السيرة**، جـ١، ص ٨٨، وابن الجوزى: **صفة**، جـ١، ص ٧٤١. والبخارى، **الصحيح**، مج٣، جـ٥، ص ١١١ ـ ١١٢، مج٤، جـ٨، ص ١٠٠. والأزرقى، جـ١، ص ٣٧٤ ـ ٣٨٩. ويذكر أن صنم ذى الخلصة أعيد بناؤه بعد القرن العاشر الهجرى، وربما من قبل ذلك، وبقى على حاله حتى زمن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، حيث يذكر ابن بشر فى حوادث (١٢٣٠ هـ) بأن رجال عبدالعزيز بن محمد بن سعود حاربوا الترك فى بلاد بيشة وخثعم ودوس وغامد حتى وصلوا إلى صنم ذى الخلصة فهدموه وأحرقوه. انظر: عثمان بن بشر: **عنوان المجد فى تاريخ نجد** (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د. ت) جـ١، ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) ويتضح من هذه العبارات، أن الإسلام أصبح منتشراً عند أهل تهامة والسراة، حتى أن القبائل السروية والتهامية قامت بهدم الأصنام التى كانت تُعبَد من دون الله، وصاروا يوحدون الواحد القهار فى مساجدهم وصلواتهم وجميع تصرفاتهم.

(٣) انظر: البخارى: **الصحيح**، مج٣، جـ٥، ص ١١١ ـ ١١٢. والأزرقى: **أخبار مكة**، جـ١، ص ٣٨٠، وابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٤) المصادر نفسها.

بلاد تهامة والسراة. وتذكر بعض المصادر أن سرية قطبة بن عامر بن حديدة التى أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بلاد خثعم فى شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة كانت حوالى عشرين رجلا، ذهبوا إلى محاربة بعض المشركين، وعادوا ظافرين[١].

أما وفود بلاد تهامة والسراة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة فكانت فى العامين: التاسع والعاشر الهجريين، وخاصة فى العام التاسع الذى كثرت فيه الوفود على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من شبه الجزيرة، لدرجة أنه سُمِّيَ عند المؤرخين بعام الوفود. ويبدو أن بعض الوفود قَدِمَتْ من بلاد السراة قبل هذا التاريخ، أمثال الدوسيين بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسى وغيرهم، فكانوا ندرة، ولكن بعد فتح مكة المكرمة، انفتح الباب الذى كان حاجزاً بين أهل تهامة والسراة واليمن وبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين فى المدينة، وبالتالى وفَدَتِ الوفود من قبائل متباينة فى بلاد تهامة والسراة، وفى أعداد متفاوتة لكى تعلن إسلامها للرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم تعود إلى أوطانها لتنشر الإسلام بين أقوامها، وتحارب أهل الشرك أو من بقى مُصِراً على عبادة الأوثان.

وإلى جانب الذين سبق ذكرهم من الشخصيات أو الوفود التى وفدت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعلنت إسلامها. هناك أيضا وفود أخرى قدمت من بلاد تهامة والسراة فى العامين التاسع والعاشر للهجرة، ومن تلك الوفود وفد ثمالة من النواحى الجنوبية لسراة الطائف، ووفد سلامان من تهامة، وسراة الحجر، قدموا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى السنة العاشرة للهجرة، فأسلموا، ثم علَّمهم بعض الشرائع، ثم أجارهم وعادوا إلى مقرهم. كذلك وفد غامد بزعامة أبى ظبيان الأزدى الغامدى، ووفد دوس، الذى سبقت الإشارة إليه بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسى، ووفد بارق، ووفد خثعم، ووفد زبيد من بلاد تثليث وماحولها بزعامة عمرو بن معدى كرب الزبيدة، ثم وفد الأزد بزعامة صرد بن عبدالله الأزدى[٢].

---

(١) ابن القيم: **زاد المعاد**، جـ٣، ص ٥١٤. وابن سعد: **الطبقات**، جـ٢، ص ١٦٢.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود، انظر: ابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٢١ ـ ٣٥٩. وابن هشام: **السيرة**، جـ٤، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٤. وابن القيم: **زاد المعاد**، جـ٣، ص ٦٢٠ ـ ٦٢١، ومحمد ابن جرير الطبرى: **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ج٣، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٤ ـ ١٣٦. ومحمد حميد الله: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة** (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٢٤١، ٢٩٠ ـ ٢٩١.

ومن الملاحظ أن الوفود التى قَدِمَتْ على الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بلاد تهامة والسراة، أو من أى مكان فى شبه الجزيرة العربية، كانت دليلا على انهيار الشرك، وبالتالى علامة على انتشار الإسلام فى البلاد والأقاليم التى وفدت منها. ويتضح من بعض كتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن البعض من قبائل تهامة والسراة فعلوا مافعل الحارث بن عبد شمس الخثعمى، الذى خرج إلى المدينة المنورة بعد هدم جرير لصنم ذى الخلصة، فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من رسول الله[١].

كذلك قدم من بلاد بيشة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد فتح مكة المكرمة مطرف بن الكاهن الباهلى، الذى أعلن إسلامه، وطلب الأمان من الرسول ـ(صلى الله عليه وسلم) فأمنه وأعطاه الرسول كتاباً فيه فرائض الصدقات قال فيه: «هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن، ولمن سكن بيشة مَنْ بَاهِلَة، إنَّ من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهى له، وعليهم فى كل ثلاثين من البقر فارض، وفى كل أربعين من الغنم شاة، وفى كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة، وليس للمصدق أن يصدقها إلاَّ فى مراعيها، وهم آمنون بأمان الله[٢].

وكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتاباً آخر لنهشل بن مالك من باهلة ببيشة قال فيه: «باسم الله، هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بنى وائل، لمن أسلم، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله، وسهم النبى، وأشْهَدَ على إسلامه، وفارَقَ المشركين، فإنه آمَنٌ بأمان الله، وبَرِئ إليه محمد من الظلم كله، وإن لهم ألاَّ يحشروا ولايعشروا، وعاملُهم من أنفسهم...»[٣].

---

(١) محمد حميد الله: **مجموعة الوثائق**، ص ٢٩١. ويتضح أن بعض العشائر الخثعمية، غير الحارث بن عبد شمس، قدمت على الرسول وأعلنت إسلامها، فيذكر محمد حميد الله، وابن سعد أن «عشعث ابن وحشى، وأنس بن مدرك قَدِمَا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى رجال من خثعم.. فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وماجاء من عند الله، فاكتب لنا كتاباً نتبع مافيه، فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبدالله ومن حضر...» انظر: محمد حميد الله، المصدر نفسه، ص ٢٩١. أيضاً وردت هذه المعلومات فى جزء من طبقات ابن سعد (تم طبعه فى بلدة أكبر آباد بالهند، عام ١٣٠٨ هـ) ص ١١٢ ـ ١١٣. وهذا الجزء ضمن مكتبة الباحث.

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، الجزء المطبوع فى بلدة أكبر آباد بالهند، ص ٣٨ ـ ٣٩. ومحمد حميد الله: **مجموعة الوثائق**، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٣) المصدران السابقان.

وفي كتاب آخر لقبائل خثعم ببلاد بيشة قال فيه: «هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها، إن كل دَمٍ أصبتموه في الجاهلة فهو عنكم موضوع. ومَنْ أسلم منكم طوعاً أو كرهاً وفي يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء. . . . فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وكل غرب نصف العشر»[١]. وكتاب آخر لأهل بارق قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم): «هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق، لاتُجَزُّ ثمارهم، ولاترعى بلادهم في مربع ولامصيف إلا بمسالة من بارق، أو من مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أَيْنَعَت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط بوسع بطنه من غير أن يقتثم. . .»[٢].

وبهذا نخلص إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكتفِ فقط باستقبال الوفود في المدينة المنورة، وإنما عمل مافي وسعه لتوطيد الإسلام بين أهل تهامة والسراة، فأكرم وفادة الوفود القادمة عليه، ثم علمهم المبادئ الأساسية في الإسلام، وبعدها أَذِنَ لهم بالعودة إلى أوطانهم، فعادوا إلى أقوامهم وكلهم إصرار على نشر الإسلام فيما بينهم.

وأحياناً كان يكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتباً لبعض الوفود يبين لهم فيها بعض التعاليم الدينية، وتارة أخرى كان يرسل رسائل إلى بعض القبائل والعشائر، يذكر لهم فيها مايتوافق مع منهج الإسلام، سواء في العقيدة أو الأحكام. أو الأنظمة الاجتماعية، أو غيرها، بل يحثهم على محاربة الفتن والضلالات، والنصرة على أهل الشرك، وضمان الأمن، والبقاء في أوطانهم.

ومن أهم الوفود السروية التي وفدت على الرسول الكريم، وفد الأزد، الذي كان يتزعمه صرد بن عبدالله الأزدي، حيث قدموا من «جَرَش» إلى المدينة وعددهم بضعة عشر رجلا، فأعلنوا إسلامهم بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم). ثم أَمَّرَ الرسول

---

(١) ابن سعد: **الطبقات**، الجزء المطبوع في بلدة أكبر أباد بالهند، ص ٤١. ومحمد حميد الله: **مجموعة الوثائق**، ص ٢٩١.

(٢) ابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٥٢. ومحمد حميد الله: **مجموعة الوثائق**، ص ٢٤١. وابن جريس: **بلاد بني شهر وبني عمرو**، ص ٤٤.

صرد بن عبدالله على بقية رفاقه، وأمَرَهُم بالعودة إلى ديارهم ليقيموا الجهاد على من بقى على وثنيته، ويعملوا على نشر الإسلام فى أوطانهم وتطهيرها من الشرك، فخرجوا من عند رسول الله متجهين إلى بلاد جرش[١]، وهناك أبلوا بلاءً حسناً حتى تحولت بلادهم جميعاً من الشرك إلى الإيمان[٢].

وبعد انتشار الإسلام فى ديار جرش، قَدِمَ منهم وفد آخر على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقال لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم): «مرحباً بكم أَحْسَنَ الناسِ وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة، أنتم منى وأنا منكم...». وجعل شعارهم مبروراً، وحمى لهم حمىً حول قريتهم على أعلام معلومة...[٣].

ولم تأتِ حجة الوداع إلا وبلاد تهامة والسراة قد دَانَ أهلها بالإسلام، مثلهم مثل غيرهم من قبائل وعشائر شبه الجزيرة العربية. وانتقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى وبلاد العرب جميعها تدين بدين الإسلام. ثم أتى من بعده الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصِّدِّيق (١١ هـ / ٦٣٢ م ـ ١٣ هـ / ٦٣٤ م)، فحدثت هزة فى مجتمع شبه الجزيرة نتيجة لحركة الرِّدَّة.

---

(١) بلاد جرش، أو إقليم جرش، أو مخلاف جرش، اسم واحد كان يطلق على أغلب إقليم عسير فى وقتنا الحاضر، ومركز هذا الإقليم قديماً هو بلاد خميس مشيط فى بلاد شهران، ورفيدة فى بلاد قحطان، ومدينة أبها وماحولها فى قبائل عسير الأصلية (علكم، ومغيد، وبنو مالك، وربيعة ورفيدة). وربما كان إقليم جرش يتسع ويضيق حسب الأحوال السياسية التى كانت تعيشها البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة. وقد تعرض لهذا الإقليم العديد من المصادر المبكرة فذكرت موقعه، وطبيعة أرضه ومابها من خيرات، وكذلك سكانه وأنسابهم.
وللمزيد من التفصيلات عن بلاد جرش، انظر: الهمدانى: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦. والبكرى: **معجم مااستعجم**، مج١، جـ١، ص ٣٧٦. وأحمد بن أبى يعقوب اليعقوبى: **كتاب البلدان**، تحقيق أم. دى غوى (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩١ م) ص ٣١٤ ـ ٣٢٠. ولنا بحث بعنوان «تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى» سينشر فى أحد أعداد، **مجلة العصور**، القادمة، إن شاء الله.

(٢) للمزيد من المعلومات عن ماقام به صرد بن عبدالله الأزدى وأصحابه من المسلمين فى محاربة من بقى على الوثنية فى بلاد جرش ـ وخاصة بعد ما أمرهم الرسول ـ(صلى الله عليه وسلم) بالرجوع إلى أوطانهم لمحاربة المشركين هناك ـ انظر: ابن هشام: **السيرة**، جـ٤، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤. وابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨. وابن القيم: **زاد المعاد**، جـ٣، ص ٦٢٠ ـ ٦٢١. والطبرى: **تاريخ**، جـ٣، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) انظر: ابن سعد: الجزء المطبوع فى بلدة أكبر أباد بالهند، ص ١٠١. وانظر: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٣٨. وابن هشام: **السيرة**، جـ٤، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤. ومحمد حميد الله: **مجموعة الوثائق**، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

صدي حركة الردة في إقليم تهامة والسراة:

ظهر قبيل وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، في أنحاء شبه الجزيرة العربية بعضُ الكذَّابين المُدَّعين للنبوة[١]، أمثال عَبْهَلة، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وماحولها[٢]، فاتخذ من صنعاء نقطة انطلاق نحو الشمال، حتى سيطر على نجران وأجزاء عديدة من بلاد قحطان وعسير وبيشة وماحولها، بل لقد سعى إلى طرد عمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تلك الأجزاء[٣]. وجاء النبأ بأفعال الأسود العنسي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقام عليه السلام، بمراسلة العديد من قبائل وشيوخ أهل اليمن، وتهامة والسراة، وحثهم على التمسك بدين الإسلام، والثبات في تصديهم للأسود العنسي، وحذرهم من الارتداد عن دين الله، بل أرسل جرير بن عبدالله البجلي مع بعض الرجال من أزد السراة ليتصدوا للمرتدين أو المؤيدين للأسود العنسي في أرض السروات[٤].

وبعد خروج جرير بن عبدالله من المدينة متجهاً إلى بلاد السروات أتَى نبأ وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فعاد جرير إلى المدينة بدون أن يواصل مهمته، وربما عاد ليقف على أحوال المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم. وفي ضوء ذلك الموقف يستطيع أن يتصرف مع بقية صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم). ويحتمل أن يكون موت الرسول (صلى الله عليه وسلم). وهَوْل تلك الصدمة، جعلت جرير بن عبدالله لايواصل

---

(١) المدعون للنبوة أمثال مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ببلاد نجد، وطُليحة بن خويلد الأسدي في قومه من قبائل بني أسد، والأسود العَنسي في بعض القبائل باليمن والأجزاء التهامية والسروية الواقعة بين صنعاء ومكة المكرمة.

(٢) الأسود العنسي رجل من عنس إحدى قبائل قحطان، كان كاهناً تنبأ قبيل وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتابَعَهُ على أمره أقوام عديدة من عرب اليمن وبعض أجزاء بلاد تهامة والسراة، فَخرَّبَ ودمر، وعاثَ في الأرض فساد، حتى هيأ الله له بعض الموالي والعرب ببلاد اليمن فتآمروا على قتله ونجحوا في ذلك.
للمزيد من التفصيلات عن حركته وفجوره، انظر: الطبري، **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٣٠ ومابعدها. وعبدالوهاب النجار: **الخلفاء الراشدون** (بيروت: دار الفكر، د. ت) ص ٤٦ ـ ٥٦.

(٣) كان من عمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بلاد اليمن وتهامة والسراة، عمرو بن حزم على نجران، وخالد بن سعيد بن العاص على مابين نجران ورمع وزبيد، وكانت إمارته تمتد شمالا على ديار قحطان وبلاد جرش، وعسير حتى بيشة، وكان الطاهر بن أبي هالة على عك، والأشعريون في بعض النواحي التهامية.

(٤) الطبري: **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٣٢، ٣٢٢. وعبدالرحمن بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق خليل شحادة وآخرين (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) جـ٢، ص ٤٩٣.

هو وأصحابه ماكُلفوا به من قبل الرسول، فلم يستطيعوا السير قدماً، وقرروا الرجوع إلى مدينة الرسول الكريم[١]. ولكن حدث بعد عودة جرير وصحبه إلى المدينة المنورة أن وجدوا المسلمين قد اجتمعوا على تنصيب أبى بكر الصديق خليفة لهم، ووجدوا أبا بكر غير راض عن رجوعهم من المهمة التى كَلَّفَهُم بها الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٢]، فلم يكن عليهم إلاَّ الذهاب إلى بلاد السراة لمحاربة من ارتد من عشائر وقبائل تلك البلاد. وساروا إلى بلاد بجيلة، وخثعم، ودوس، والحجر، فحاربوا مَنِ ارتَّد أو عَادَ إلى الوثنية، وتغلبوا عليهم[٣].

والواقع أن المرتدين فى بلاد تهامة والسراة كانوا قلة، وخاصة إذا ماقُورنوا ببقية أجزاء شبه الجزيرة العربية[٤]، فالأسود العنسى ـ كما أشرنا ـ ظهر فى حواضر اليمن الكبرى، ثم مَدَّ نفوذه شمالاً حتى نجران، وجرش، وبيشة، ووجد بعض المؤيدين لدعوته فى تلك الأجزاء، بل وجد من بين أهل تهامة والسراة من يتولى قيادات عامة ينوبون عنه فى السير بحركة الارتداد فى أوطانهم، فَيُقنعون مَنْ بقى على دين الإسلام، ويُحببون إليهم

(١) إن فاجعة موت الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت كارثة عظيمة للمسلمين، وخاصة عند صحابته (رضوان الله عليهم)، فقد عرفنا ماأصاب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الذى لم يصدق خبر الوفاة، والذى يُروى عنه أنه قال: والله لو قال أحد إن محمداً قد مات لقطعتُ رأسه بسيفى هذا، وهذه العبارة لايقولها إلا شخص لم يصدق بالخبر، وربما الصدمة العنيفة فى قلب عمر جعلته يقول هذه المقولة، علماً بأنه من العشرة المبشَّرينَ بالجنة، ومن العارفين العالمين بسنن الله، وأن الموت لايترك صغيراً ولاكبيراً إلاَّ داهمه. وتتجلى شخصية الخليفة أبى بكر الصديق فى القول الذى قاله لعمر وغيره من المسلمين، عندما تأكد من موت الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: «مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حىٌّ لايموت». وهنا عاد عمر إلى وعيه، وخفت الصدمة على نفسه بعد سماع ماقاله أبو بكر الصديق، وصبر المسلمون على تلك المصيبة العظيمة.

(٢) كان أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) حريصاً على تنفيذ جميع تعاليم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبعد توليه للخلافة رأى أن جميع السرايا والغزوات التى كانت قد جُهزت فى حياة الرسول، أو كان قد أمر بعقد لوائها أو أرسلها، لابد أن تُنَفَّذَ مهما بلغ الأمر، ومن أعظم الأمثلة لذلك إنفاذه جيش أسامة ابن زيد بن حارثة إلى بلاد الشام، وخاصة فى الظروف العصيبة التى كانت تمر بها المدينة أثناء ارتداد القبائل العربية فى أطراف عديدة من شبه الجزيرة العربية، ومع هذا فلم ينقضه، ولم يفكر فى ذلك، وإنما قال بعد ما عرض عليه بعض الصحابة رأى تأجيل ذلك الجيش: «والله لا أحل لواءً عقده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم».

(٣) الطبرى: **تاريخ**، جـ٣، ص ٣٢٢. وابن خلدون: **تاريخ**، جـ٢، ص ٤٩٣.

(٤) للمزيد من التفصيل عن حركة المرتدين فى شبه الجزيرة العربية، وما قاموا به من خراب وفساد فى الديار، وكيف كانت عاقبتهم، انظر: الطبرى، **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٢٣ ـ ٣٤٢. وعبدالوهاب النجار: **الخلفاء الراشدون**، ص ٤٥ ـ ٦١.

الرِّدَّةَ، أو يهاجمون ويحاربون من يقف في طريقهم من مسلمي البلاد أنفسهم، أو من سيأتي من قِبَلِ المدينة المنورة وماحولها.

ومن أولئك المؤدين للعنسي، عمرو بن معدى كرب الزبيدي، الذي تزعم وفد زبيد عندما قدموا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبعد ظهور العنسي ارتد عمرو وانضم إلى حزب المرتدين، فجعله العنسي نائباً عنه في البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بيشة شمالا[1]. وبرز إلى جانب عمرو مع العنسي قيس بن عبد يغوث الأزدي المرادي، الذي وَلاَّهُ العنسي إمْرَةَ الجيش العامة، كما شَارَكَ مع العنسي معاويةُ بن قيس الجنبي، ويزيدُ بن الأفكل الأزدي، وجميعهم من قبائل بلاد السراة الواقعة بين نجران وبيشة[2]. ويوردُ الطبريُّ تجمُّعَ بعض الأفراد من عشائر بجيلة، وخثعم، وأزد السراة، وأفخاذ أخرى في تهامة والسراة، ثم انضواءَهُم تحت زعامة حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي، ثم إعلانهم ارتدادهم[3]، وربما اتحادهم مع أعوان الأسود العنسي، ونهجهم نهج المرتدين في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة امتناعهم عن دفع الزكاة، وعدم التقيد ببعض أحكام الإسلام.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا كان حجم المرتدين في بلاد تهامة والسراة؟ والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة، لأن المصادر الأولى لاتسعفنا بمعلومات وافرة حتى نستطيع من خلالها معرفة حجم حركة الارتداد في البلاد المعنية بالدراسة في هذا البحث، ولكن في اعتقادنا ـ وكما أشرنا سابقاً ـ أن حجمها كان أقل بكثير من حجمها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة، بدليل أنه عندما عزم الخليفة أبو بكر الصديق على محاربة المرتدين في كل مكان، فإنه لم يرسل جيشاً خاصاً إلى تهامة والسراة، وإنما

(١) لتفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن معدى كرب منذ العصر الجاهلي حتى إسلامه ثم ارتداده ثم إسلامه ومساهماته في الفتوحات الإسلامية ببلاد الشام وفارس، انظر: الطبري: **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١. وابن هشام: **السيرة**، جـ٤، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١. وابن سعد: **الطبقات**، جـ١، ص ٣٢٨. ومحمد بن عبدالله بن قتيبة: **الشعر والشعراء** (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢. وعلي بن الحسين المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) جـ٣، ص ٣٣٥. وأحمد ابن يحيى البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ١٢٦. وأحمد بن محمد بن عبدربه: **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة وآخرين. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) جـ١، ص ١٢٤، ٣١٨ ـ ٣١٩.

(٢) انظر: الطبري: **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢.

(٣) انظر: الطبري: **تاريخ**، جـ٣، ص ٣٢١ ـ ٣٣٢.

أرسل جيشاً مر بمكة المكرمة ثم الطائف، ثم سلك طريقه عبر السراة حتى وصل صنعاء فى اليمن. ومرور مثل ذلك الجيش بالسراة جعله يصطدم ببعض المرتدين، الذين يبدو أن حجمهم وخطرهم لم يصل إلى مستوى خطورة وحجم جماعة مسيلمة الكذاب، أو طُليحة بن خويلد الأسدى، أو مالك بن نويرة، ومن ارتد معهم، أو غيرهم فى أطراف أخرى من جزيرة العرب[١].

ولم يكتف الخليفة أبو بكر الصديق برد جرير بن عبدالله البجلى ومَنْ كان معه إلى حيث أرسلهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بلاد السراة، وإنما أصدر تعليمات أخرى إلى عماله فى مكة المكرمة والطائف يأمرهم أن يرسلوا البعوث إلى بلاد تهامة والسراة ليجمعوا من بقى على الإسلام هناك، ثم يجاهدون بهم من ارتد عن دين الله، فلم يكن على أمير مكة المكرمة عتاب بن أسيد، إلاَّ الامتثال لأمر الخليفة، وأرسل أخاه خالد بن أسيد إلى الأجزاء التهامية الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة، والممتدة إلى بلاد اليمن[٢].

كذلك أرسل والى الطائف، عثمان بن أبى العاص، بعثاً إلى بلاد السروات، الممتدة من جنوب الطائف إلى اليمن، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع بجرير بن عبدالله البجلى فى وسط السراة ببلاد دوس وخثعم والحجر، ثم ذهبوا جميعاً حتى التقوا بحميضة البارقى ومن كان معه من المرتدين فى سراة عسير (عنز)، فحاربوهم حتى هزموهم ومزقوهم شر ممزق[٣].

وأدى إصرار الخليفة أبى بكر على إبادة ودحر المرتدين إلى تجهيز جيوش عديدة فى المدينة، ثم أرسل كل واحد منها إلى ناحية لكى يتصدى للمرتدين، فكان نصيب بلاد تهامة والسراة واليمن الجيش الذى أرسله تحت زعامة المهاجر بن أمية، فخرج ذلك الجيش من المدينة المنورة حتى الطائف، ثم سار فى بلاد السراة حتى لحق بجيش جرير

---

(١) لمزيد من التفصيل عن حركات المرتدين فى الأجزاء المختلفة من شبه الجزيرة العربية انظر: الطبرى: **تاريخ**، جـ٣، ص ٢٢٣ ـ ٣٤٢. والنجار: **الخلفاء**، ص ٤٥ ـ ٦١.

(٢) انظر: الطبرى: **تاريخ** جـ٣، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠. وابن خلدون: **تاريخ**، جـ٢ ، ص ٤٩١.

(٣) الطبرى: **تاريخ**، جـ٣، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢، ٣٢٨. وبعد هزيمة حميضة البارقى ومن كان معه، قال أحد الشعراء

فضضنا جمعهم والنقع كاب ... وقد تعدى على الغدر الفتوقُ
وأبرق بارق لما التقينا ... فعادت خُلَّباً تلك البروقُ

انظر: الطبرى: **تاريخ**، جـ٣، ص ٣٢٠.

ابن عبدالله البجلي ومن كان معه، ثم واصلوا جميعاً السير حتى التقوا بجيوش عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقيس المرادى وغيرهما فهزموهم، وعاد كل من عمرو وقيس إلى الإسلام، وعادت جميع بلاد تهامة والسراة إلى حوزة الإسلام[1].

وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية فى تاريخ الخليفة أبى بكر الصديق، وهى مرحلة الفتوحات الإسلامية، فانخرط الكثير من السرويين والتهاميين فى جيوش المسلمين - مثلهم مثل غيرهم من عرب شبه الجزيرة العربية - وأبلوا بلاءً حسناً فى فتح بلاد الشام، ومصر، والمغرب، والأندلس، وفارس، وغيرها، بل لقد عمل الكثير منهم على نشر الإسلام فى تلك البقاع الإسلامية الجديدة، واستقر بعضهم فى بعض الحواضر من تلك الأمصار، ثم شاركوا فى كثير من الأنشطة السياسية والحضارية.

وبعد؛ فلعلنا فى هذه الدراسة قد نجحنا فى كشف النقاب عن صفحة شِبْه مجهولة فى تاريخ إقليم تهامة والسراة فى فجر الإسلام.

* * *

(١) الطبرى: **تاريخ**، جـ٣ ص ٢٢٣ - ٣٤٢. والنجار: **الخلفاء**، ص ٤٥ - ٦١.